

# رسالة الفصح ٢٠٠٠ للكردينال مار نصرالله بطرس صغير بطريك انطاكية وسائر المشرق

"إن كان المسيح لم يقم، فإيمانكم باطل"

( اكور ١٥ : ١٧ ).

أيها الأخوة والأبناء الأعزاء،

في إطار اليوبيل الكبير، يوبيل سنة الألفين، يتخذ عيد قيامة السيد المسيح من بين الأموات، معنى خاصا. إنه يعني أن السيد المسيح الذي ولد، وعاش على أرضنا وفي منطقتنا، ورسم ما رسم من أسرار، وأتى ما أتاه من عجائب ومعجزات في حياته بين الناس، ومات على الصليب فداء عنهم أجمعين، ثم قام من بين الأموات، لا يزال هو هو. إنه يقيم معنا وفيما بيننا. لقد انقضى على تجسده ومروره في عالمنا ألفا سنة، ولكنه لا يزال حيا في قلوبنا يلهمنا ما نقول ونعمل، ويبعث في قلوبنا الرجاء ساعة يساورنا اليأس، ويشحذ منا الهمم، ساعة يستولي عليها الخمول، ويشدد منا العزائم، ساعة تخور لدينا الإرادة الطيبة، ويفتح أمام أعيننا آفاقا جديدة رحبة، ساعة نظن أن الضيقة راحت تسد في وجهنا سبل الأمل والنجاة. أجل إنه بيننا معنا. وهذا ما أكده أشعيا النبي يوم تنبأ عن ميلاده، فقال: "هاهي العذراء تحبل وتلد أبنا، ويدعى اسمه عمانوئيل" المترجم: إلهنا معنا.<sup>١</sup>

وهو معنا، على ما يقول دستور في الليتورجيا من المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني: "في كنيسة ولا سيما في الأعمال الطقسية. إنه حاضر في ذبيحة القدا، وفي شخص خادم السر" والذي يقدم نفسه الآن بواسطة الكهنة، هو الذي قدم ذاته على الصليب"، وفي أعلى درجة، تحت الأشكال الأفخارستية. إنه حاضر بقوته في الأسرار، بمعنى أنه عندما يعمد أحد، هو المسيح عينه الذي يعمد. هو حاضر في كلمته، لأنه هو الذي يتكلم عندما نقرأ الكتب المقدسة في الكنيسة، أخيرا هو حاضر عندما تصلي الكنيسة، وعندما تنشئ المزامير، وقد وعد قاتلا: حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فأنا أكون هناك، في وسطهم".<sup>٢</sup>

وقيامة السيد المسيح من بين الأموات هي التي أثبت معها أنه حقا إله وإنسان. وهذا هو البرهان الأكبر على ألوهيته. وهذا الحدث العظيم الذي جرى منذ ما يقارب الألفي سنة، والذي لم يحدث مثله قط في تاريخ البشر، حاول الكثيرون منذ ما يقارب ألفي سنة أن ينقضوه بججج وبراهين سرعان ما تبين بطلانها. أجل يسوع قد قام، وهو على ما تقول الرسالة إلى العبرانيين أيضا: "وهو يستطيع أن يحيي الأبد الذين يتقربون من الله على يده، لأنه حي كل حين، ويصعد الصلاة لأجلهم".<sup>٣</sup>

أيها الأخوة والأبناء الأعزاء،

إن قيامة السيد المسيح من بين الأموات هي الصخرة التي نتمسك بها فيما نحس أن الأرض تغور تحت أقدامنا، في هذه الظروف المأسوية التي نمر بها، وبتنا نشعر أن الآفاق مسدودة في وجهنا. ولا حاجة بنا إلى تعداد ما نعاني جميعا من صعوبات: وهناك هم الجنوب، وهو مائل أمام العيون وفي الخواطر، والناس فيه لا يعرفون ما سيكون مصيرهم: هل سيرحلون أم سيتركون حيث هم، على أرضهم، وفي منازلهم؟ وهم يتساءلون من هو المسؤول عنهم

١- متى ١ : ٢٣

٢- عد ٧

٣- عبر ٧ : ٢٥

؟ ومن يطمئنهم إلى مصيرهم ؟ وما هو دور الدولة في مثل هذه الحالة ؟ وهناك الضائقة الاقتصادية التي تشدّ على الخناق، وهي ضائقة لم يعرفها لبنان منذ الحرب الكونية الأولى، وهناك مواطنون أصبحوا على الحضيض، وهو وضع لم يسبق لهم أن عرفوه من قبل. وهناك شركات ومصانع تقفل أبوابها وتسرح عمالها. وهناك طلاب جامعات يتساعلون في حيرة ماذا عساهم أن يفعلوا بشهاداتهم العليا، مادامت أبواب العمل والرزق تبدو مسدودة في وجوههم. وليس من يوجه الأجيال الطالعة للتخصص في مهنة يحتاج المجتمع اللبناني إليها، فيما هناك مهنة أصبحت مقفلة لكثرة الذين يزاولونها، وبخاصة في حقل الطب والهندسة والمحاماة. وهناك مزارعون يشكون المزاحمة التي تمنعهم من بيع منتجاتهم، وتحملهم على ترك أراضيهم بوارا.

وهذا وضع خطير. والحقيقة وحدها هي التي تنقذ في مثل هذه الحالات. ويجب تربية الناس على الحقيقة. يقول أحد كبار المفكرين الكاثوليك : " الحقيقة غالبا ما تمتحن الإنسان. وهي دونما شك الدافع الأقوى إلى نسيان الذات، وإلى الحرية الحق . ولناخذ مثل بيلاطس . كان يعرف جيدا أن هذا المتهم، يسوع، هو بريء، وأن عليه أن يطلق سراحه استجابة لداعي العدالة. وهو كان يرغب في ذلك . لكن هذه الحقيقة دخلت في صراع مع حالته. وكان يخشى أن تتسبب له بمتاعب، وبإفقاده منصبه. وقد تندلع اضطرابات، وقد يغضب الأمباطور إلى ما سوى ذلك من اعتبارات . لذلك ضحى بالحقيقة التي لا ترفع الصوت، ولا تدافع عن نفسها، على الرغم من أن الحقيقة التي تنكر لها تملأ قلبه بعاطفة جبن مبهمة "... ويضيف، هناك من يقول رَ: "بإمكاني أن أتخلص من ورطة إذا تساهلت بعض الشيء مع عكس الحقيقة . أو خلافا لذلك، إن القبول بنتائج الحقيقة قد يتسبب لي بمتاعب لا تعد ولا تحصى. وكم من مرّة يحدث ذلك. وكم من مرة نهرب من الحقيقة... وهكذا تتحول مسيرة الجماعة ظلما للحقيقة..ومثل هذه النفوس البارعة في التحول على ذوق كل من الناس، ليست سوى مرايا".<sup>٤</sup>

ليتنا نجاهر بالحقيقة دون مواربة كما تتجلى لنا، لكننا نأمل أن تصطحح أحوالنا، والسيد المسيح القائم من الموت هو من قال لنا: "تعرفون الحقّ والحقّ يحرركم".<sup>٥</sup>

وإنّا إذ نهنّكم بهذا العيد، مقيمين ومغتربين، نسأل الله أن يعيد عليكم عديد أمثاله، وقد عاد السلام إلى ربوعنا، واستعاد بلدنا ما أفتقده منذ ربع قرن، نتيجة خوفه من المجاهرة بالحقيقة، وما له حق به من سيادة واستقلال وقرار حرّ وسلام عادل ، شامل.

<sup>٤</sup> -الكردينال راتزنغر : أنشودة جديدة للرب. ص ٢١٩